من الوثائق الجزائرية العثمانية

((الحرب الانكليزية الجزائرية، العهد الجديد))

النصف الأول من سنة 1981 الجزائر

رقم 10 مجلة التاريخ

من الوثائق الجزائرية العثمانية

« الحرب الانكليزية الجزائرية والعهد الجديد »

احمد توفيق المدني

أثناء انعقاد مؤتمر فيينا عاصمة الامبراطورية النمساوية المجرية ، وقد حضرته الدول الأروبية الغربية والدولة الروسية ، واتخذت قرارها بارغام الدول الاسلامية الافريقية المنخرطة فى سلك الخلافة العثمانية « ليبيا ــ تونس ــ الجزائر ــ » بالتخلي عن أعمال القرصنة نهائيا ، والتعهد بعدم أسر واستعباد المسيحيين ، التزمت الدولة الانكليزية بأن تتولى بنفسها وبواسطة أسطولها الضخم ، تنفيذ ذلك القرار ، وارغام الدول المشار اليها على الاذعان لمقررات المؤتمر وكان ذلك سنة 1815 .

أناطت الدولة الانكليزية الى عهدة أمير بحرها اللورد اكسموت القيام بتلك المهمة الشاقة ، فجهز سفنه القوية ، وأم بلادنا غازيا ، وكان على رأس الدولة الجزائرية يومئذ الداي عمر باشا ، فوقعت المصادمات العنيفة بين اللورد اكسموت والداي عمر الذي امتنع يومئذ بشدة وصلابة عن الاذعان لتلك المقررات ، وركب اللورد رأسه ودخل مرسى الجزائر رافعا الراية البيضاء علامة السلام ، ثم آخذ فى رمي المدينة بقنابله الى أن اضطر عمر باشا لعقد اتفاقية معه ، انقذت جماعة من الأسرى بعد دفع الدية المطلوبة ، لكنه لم يحصل من الجزائر على تصريح رسمي بالغاء القرصنة ضد الدول التي لا ترتبط مع الدولة الجزائرية بمعاهدة وتبعث

الى الجزائر بقنصل يمثلها ، وتدفع لها العوائد المقررة . واستمرت القرصنة بعد ذلك . وخلال سنة 1818 انعقد مؤتمر ايكس لاشابيل ، وقرر اعادة الحملة ، وارغام الدولة الجزائرية على الخضوع لمقرراته التي تأمر بالغاء القرصنة نهائيا . وقد كانت دولة الولايات المتحدة الأميركية ، ودولة المكسيك ، ودولة اسبانيا قد امتنعت عن الاذعان لمقررات المؤتمر ، لكن الدول الأروبية وجهت كل الجهود لارغام الجزائر على قبول تلك المقررات ، وكلفت هذه المرة كلا من دولتي أنكلترا وفرنسا باقناع الدولة الجزائرية ، طوعا أو كرها ، بقبول ذلك . ففي شهر سمبتامبر من سنة 1819 ، وصل الأميرال الانكليزي فريمانتلي (1) والأميرال الفرنسي جوليان دولاقرابيار (2) مرسى الجزائر وتفاوض مليا مع الداي الجديد والأخير حسين باشا ، الا أنهما لم يحصلا على طائل ، ورفض الباشا كل هاتيك المطالبة قائلا : ان التفتيش الذي يجريه القرصان الجزائريون على ظهر السفن الأروبية انما هو الوسيلة الوحيدة التي تمكن الجزائر من معرفة السفن الصديقة التي يسمح لها بالمرور ، والسفن المعادية التي تحجز ، ورجع الأميرالان دون نتيجة .

عاد الأسطول الانكليزي ، وعلى رأسه الأميرال هاري نيال (3) متذرعا بأسباب أخرى ، وتحت امرته عمارة مؤلفة من 23 سفينة حربية ، كي يرهب الجزائر ، ويذلها ، ويحصل منها على تعويض كبير مقابل ما لحق الانكليز من اهانة فى قضية ابعاد قنصلها عن الجزائر .

لكن الداي حسين باشا رفض هذه المرة أيضا قبول أي مطلب ، واضطر الأميرال الانكليزي للاقلاع بسفنه كما جاء ، اذ لم يكن له

---

(1) Freemantle.

(2) Julien De La Gravière.

(3) Harry Neal.

التفويض فى ايقاد نار الحرب ضد الجزائر . انما عاد أمام الجزائر مرة أخرى وقد حصل من حكومته على أمر بضربها ادا ما هي استمرت على رفض ما طلب منها ، فاصطف أسطوله متخذا مقاعده للقتال يوم 22 جويلية 1824 ، وما كاد يأخذ أهبته للحرب حتى فاجأه الأسطول الجزائري بهجوم عنيف مؤيدا من قبل مدافع الحصون التي تحمي المدينة ، واستمر القتال على هذا المنوال دون ان ينال الانكليز اي كسب من هذه الحملة البحرية الخائبة التي دامت ثمانية أيام دون هوادة ، فانسحب الأسطول الانكليزي يوم 29 جويلية خاسرا ، ثم اضطرت أنكلترا بعد ذلك لعقد صلح مع الجزائر ، وقبلت تغيير قنصلها .

كان هذا النصر العظيم الذي نالته الجزائر قبل ستة أعوام فقط من وقوعها تحت غائلة الهجوم الفرنسي ، واضطرارها للتسليم بعد معارك عنيفة قاسية ، موجبا لأن يرسل القبطان باشا القائد العام للأسطول العثماني الى جلالة السلطان محمود الثاني الرسالة التالية ، التي تولى تعريبها ، السيد الأستاذ فكري طونا :

تقديم الوزارة لرسالة القبطان باشا :

دفتر : خط همايون عدد : 22534 ، تاريخ : 1240

الخط الهمايوني

« ان هذه العريضة التي وصلت الي من طرف القبطان باشا قبل أن يصل هو نفسه الى دار السعادة قد تم القاء النظر عليها .

بما أن هذه المسودة لا تمس واحدا بشيء ، أطلب تبييضها كما هي وارسالها بأقصى سرعة الى الجهة المعنية . »

ان هذا التقرير الذي ورد الى دار السعادة من طرف القبطان باشا قبل وصول المومى اليه بأيام يدور حول عزم السيد خليل مفتي الجزائر

الى السفر لأوجاق الجزائر وطلبه شفاهيا أن يزود من طرف المقام الشاهاني بفرمان الى أمير أمراء جزائر الغرب ، وخاصة بعد الحرب التي دارت بينهم وبين الانكليز ثم المصالحة التي أعقبتها ، حتى يكون ذلك تأييدا وتقوية بالنسبة للداي أمام الأعداء والأصدقاء ، وخاصة أمام الشيوخ والعربان والقبائل ، تماما على غرار ما كان يعمل فى مثل هذه المناسبات ، وليس من الضروري أن يتناول الفرمان الشاهاني الموجه الى الداي المذكور الاتفاقية التي دارت بينه وبين الانكليز نظرا الى أن الجزائر سبق لها أن عقدت مثل هذه الاتفاقيات من تلقاء نفسها دون أن تدخل الدولة العلية بصفة مباشرة،وانما يكون الشاهاني على سبيل التلطيف والتأييد للأمير المذكور ولا مانع فى أن يتطرق فيه الى السفن القرصنية التي سوف تطلب منه لتنضم الى الأسطول الشاهاني الذي سيخرج فى أول الربيع . ولذا فقد تم رفع التقرير الذي كان قد ورد من طرف القبطان باشا قصد احاطة المقام الشاهاني بالمحتوى والمطلوب ، حتى يأتي العمل بالنسبة للموضوع بمقتضى الارادة الشاهانية الكريمة والجدير بالذكر انه قد هيئت صورة للفرمان الشاهاني ــ الذي سوف يرسل الى الداي بمعية المفتي المذكور ، وفعلا قد تم ذلك لأن الارادة الشاهانية جاءت بالموافقة والاستحسان على مضمون الصورة التي كانت قد أعدت من قبـل » .

وهذا تقرير القبطان باشا عن الموضوع :

صاحب الدولة والعناية والرأفة والحماية ولـي النعم وكثير اللطف والكرم سيدي ومولاي حضرة السلطان المعظم .

لقد قدم السيد ــ خليل أفندي ــ مفتي الجزائر المقيم بمدينة أزمير ، الي عريضة يخبر فيها عزمه على القيام بزيارة الى أوجاق الجزائر ، بعد اتفاقها مع الانكليز على صلح بينهما .

وكان المفتي المشار اليه قد قام بارسال ـ الأمر تامة (4) ـ السلطانية التي كانت قد وجهت اليه كجواب على التحريرات الواردة من الاوجاق الى المقام الشاهاني حول نشوب حرب بين الانكليز والاوجاق وحول كيفية جريانها ، ولكن الوضع الجديد الذي حدث الآن فى الاوجاق المذكور بعد أنباء الحرب واتفاق الطرفين بمعاهدة بينهما ، الزمه المطالبة بتوجيه فرمان شاهاني معه ، الى أمير أمراء أوجاق الجزائر والشعب الجزائري على سبيل التلطيف والتقوية للأمير المشار اليه ازاء مواطني مملكته التابعة للدولة العلية حيث ان العادة المتبعة بها فى مثل هـذه المناسبات تقتضي ذلك لأن شيوخ القبائل والعربان تعودوا على التأييد السلطاني الأدبي المتمثل فى الفرمان الشاهاني الموجه اليهم عن طريـق أميرهم ، تلطيفا لهم ، وتمجيدا للبطولات التي قدموها فى سبيل الدفاع عن الدين والوطن ، واضافة الى ذلك فان مثل هذه الفرامين فى مثل هذه المناسبات السعيدة تكون سببا الى تهدئة الأفكار والقلوب وازالـة بعض الأمور الفوضوية التي يمكن أن تشكل خطرا على الدولة ، كما تدفع الجزائريين الى التحمس فى الخروج بسفنهم القرصنية مع الاسطول الهمايوني الذي سيخرج فى أول الربيع القادم فان توجيه فرمان سلطاني تلطيفي الى أمير أمراء جزائر الغرب والرعية الشاهانية هنالك عن طريق المفتي المشار اليه فى زيارته هذه الى الجزائر يساعد على احلال الفرح والسرور فى قلوبهم وانجرارهم الى التحمس دائما والامتثال الى الأوامر الشاهانية ، وتقديم فروض الطاعة للمقام الشاهاني والاسراع فى تجهيز السفن المطلوبة منهم تأييدا للأسطول الشاهاني أثناء خروجه ، ولاشك ان الأمر والفرمان فى جميع أوقات الأزمان ، لصاحب القوة والسلطان حضرة البادشاه المعظم .

القبطان باشا　　　　محمد خسرو

الختم والامضاء .

---

4 ـ المذكرة .

لكن الانكليز ، رغم المعاهدة ، ورغم تظاهرهم بتأييد الجزائر فيما بعد ، استبدلوا بسياسة القوة والحرب سياسة المكر والدهاء ، والدسائس التي حذقوها . فقد رأيت ضمن الوثائق العثمانية التي تم تعريبها أخيرا ، ما يفيدنا بأنهم طبعوا فى بلادهم كتابا عربيا اسمه « العهد الجديد » أرسلوا به سرا الى الجزائر لكي يوزع بواسطة أعوانهم داخل البلاد وفيه تحريض على الثورة ، ودعوة الى الانتقاض على النظام العثماني ، عساهم ينالون بواسطة الفتن الداخلية — كفتنة درقاوة — ما لم ينالوه بواسطة الأسطول وأعمال العنف والعدوان . اننا نذيع لأول مرة أنباء هذا الكتاب ، الذي لم يكن له من أثر اطلاقا فى بلادنا ، وقد أرسل حسين باشا للسلطان العثماني نسخا منه ، واعلم أنه صودر وأحرق ، .كما أن السلطان الذي علم أن نسخا من هذا الكتاب وزعت فى البلاد العربية من أرض الخلافة العثمانية ، أرسل الى حسين باشا تحذيرا يعلمه فيه بأمر الدسيسة ، ويأمره بمصادرة الكتاب واحراقه وهذا يدل دلالة قاطعة على ما كان فى الجزائر وفى بقية البلاد العثمانية من يقظة وانتباه تجاه هذه الدسائس التي يبثها الأجنبي ، قصد اتلاف الوحدة وتقويض البنيان من داخله .

واليكم رسالة حسين باشا للسلطان محمود :

خط همايون :

عدد : 22524

ت : 1240

سني الهمة وكريم الشيمة

سيدي حضرة السلطان المحترم :

مثلما حاولت الأمة النصرانية من قديم الزمان زرع التفرقة ونشر الفساد بين الأمة الاسلامية فى ممالك الدولة العلية المحروسة ، حاولت

الأمة الانكليزية الكافرة أيضا فى هذه الأيام افساد بعض الضمائر والقلوب فى الجزائر المحروسة ، منقادة فى ذلك الى تخيلاتها الفاسدة الماكرة وأغراضها الشيطانية الخبيثة ، المتمثلة فى جلب بعض شيوخ العربان والقبائل اليها ، حيث عمدت فى تحقيق مأربها الى أسلوب شيطاني يتمثل فى ايجاد وطبع كتاب يحتوي على بعض الادعاءات الكاذبة والترهات المغرضة تحت اسم « العهد الجديد » ليتم توزيعه من طرفهم بين الاهالي وعلى الأخص بين شيوخ العربان وسائر القبائل ، وقد تبين لنا بعد الفحص والتدقيق ان الانكليز ارسلوا من هذا الكتاب مقدار ألف نسخة الى السواحل القريبة من مالطة وخاصة الى شيوخ العرب القاطنين فى افريقيا ومنها هذه المملكه المحروسة « اي الجزائر .
والجدير بالذكر هنا هو أن الانكليز قائسون بمثل هذه الاعمال الافسادية والتخريبية مند مدة من الزمن لكن بطريقة غير مباشرة الا انهم فى هذه المرة أظهروا نيتهم الخبيثة باختلاقهم هذا الكتاب الذي يحتوي على ادعاءات مضللة تهدف الى ايقاع بذرة الشقاق والنفاق وبث فتنة الفساد والتفرقة بين الرعية الواحدة والأمة الاسلامية المنسجمة ، ولكنهم هيهات أن ينجحوا فى أعمالهم الفاسدة هذه ، لأننا استنادا الى الدستور الشاهاني والارادة الهمايونية بجمع نسخ هذا الكتاب الموزعة واحراقها ، وقد تم ذلك فعلا والحمد لله ، هذا ... واننا أردنا ارسال عشر نسخ من الكتاب المذكور الى المقام الشاهاني الكريم ـ أدام الله سؤدده وسعادته أبد الآبدين ـ قصد الاحاطة والاعلام ، مفوضين أمر تحويل هذه الكتب بواسطة الجهة المختصة الى المقام الهمايوني الكريم ، وذلك لكشف ما فيها من آراء مضللة وأفكار مفسدة اذا جاءت الارادة الشاهانية موافقة على ذلك لأن الأمر والفرمان فى جميع الأزمان لصاحب القوة والسلطان حضرة البادشاه المعظم .

***

خط همايوني

عـدد : 22524

تاريـخ : 1240

أما الرسالة السلطانية : المشار اليها ، فنصها :

« لقد أصبح المضمون من المنظور الشاهاني العالي . حقا لا يجوز الاعتماد على أحد من هؤلاء بل يجب وجوبا مؤكدا التزام الحذر والتبصر أمام كيد ودسائس هذه الملل دائما وفى كل وقت ، أدعو الله تعالى أن يجعل الجميع منتبهين الى ذلك الخطر ، آمين » .

الخط الهمايوني

التقرير ــ المحرر من طرف مفتي الجزائر المقيم بمدينة أزمير الى كتخدا ــ الباب ــ السيد سليم ثابت .

وجاء هذا التقرير فى موضوع ــ الكتاب وبعض المنشورات التي طبعت فى أنكلترا ــ تحت عنوان ــ « العهد الجديد » ، أو تحت عناوين أخرى ثم وزعت من طرفهم بين العربان . وقد عرفنا الغايـة المنشودة من هذا الكتاب والمنشورات بعد اجراء التحقيقات اللازمة حول الموضوع ، ألا وهي افساد العربان وجلب شيوخهم نحوهم بمثل هذه الدعايات الكاذبة والحيل الشيطانية الماكرة .

كما ثبت لنا بعد الفحص والدراسة أن عددا من هذا الكتاب ــ قد نشر أيضا فى دار السعادة ولذا وعملا بالمقتضى اللازم فقد صدر أمر لمنع هذه الكتب والمنشورات وعدم السماح ببيعها وقراءتها فى جميع أنحاء الممالك العثمانية العلية ، ومصادرة ما وزع منها لحرقها واتلافها بدون تردد وتقصير حتى لا يتضرر أحد من رعية الدولة العلية بمحتواها وبما أن الكتاب الذي وزع فى الجزائر المحروسة هو نفس الكتاب

ونفس المحتوى يجب على أمير أمرائها أن يصدر فرمانا لمنع هذا الكتاب بيعا ونشرا وتوزيعا ، ولمصادرة ما وزع منه للحرق والاتلاف ولذا فقد كتب الى أمير أمراء جزائر الغرب بهذا الخصوص كي يتخذ الاجراءات اللازمة حول الكتاب والمنشورات ويلتزم الحذر واليقظة أمام مثل هذه الحيل والوسائل التي يلجأ اليها هؤلاء الأعداء ليفسدوا الأمة ويثيروا الفوضى ويبذروا بذرة الفرقة والشقاق بين الرعية المحمدية . هذا وقد تم التقرير الى المقام الشاهاني العالى قصد الاعلام والاحاطة .

لأن الأمر والفرمان لصاحب القوة والسلطان حضرة البادشاه المعظم .

وبعد ، فقد بادرنا فى مركز البحوث التاريخية حال اطلاعنا على تعريب هذه الوثائق ، بمباشرة البحث بواسطة أصدقائنا فى أستانبول وفى لندرة ، على هذا الكتاب . واذا ما عثرنا عليه بحول الله ، فستنتشر على صفحات هذه المجلة ، ما به الحاجة منه كوثيقة تاريخية تصور لنا الأعيب السياسية ودسائسها فى ذلك العهد .

أحمد توفيق المدني